تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت
يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى
طائعتين أو مكرهتين فإن قلت هلا قيل طائعين على اللفظ أو طائعات على المعنى
لأنها سموات وأرضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع
والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين فقضاهن يجوز أن يرجع
الضمير فيه إلى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون
ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثاني
على التمييز قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في
آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا
دليل على ما ذكرت من أنه لو قال في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما
كاملان أم ناقصان فإن قلت فلو قيل خلق الأرض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها
في يومين كاملين وقيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء قلت الذي أورده سبحانه
أخصر وأفصح وأحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب
ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب
في كل سماء أمرها ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأنها
وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز أن يكون
مفعولا على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فإن أعرضوا بعد ما تتلو
عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم أن تصيبهم صاعقة أي عذابا
شديد الوقع كأنه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من
الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته
ففعل من بين أيديهم ومن خلفهم أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا
فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم
من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول

وتقول إذا استدرت بفلان من كل جانب فلم تكن لي فيه حيلة وعن الحسن أنذروهم
من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد
جاءوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل
وما سيجري عليهم وقيل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فإن قلت
الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاءوهم وكيف يخاطبونهم
بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى
الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم
أي من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاءوهم وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب
منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم أن في أن لا تعبدوا بمعنى أي
أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا تعبدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا
ومفعول شاء محذوف أي لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم
به كافرون معناه فإذ أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به
وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون
إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون روي أن أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا
أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان
عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من
ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب
أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا
لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات
قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه ساكت فلما
فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة
على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما
نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت

Copyright © King Saud University